التماسك الأسري، الأسس والأثار.

Family cohesion, foundations and effects.

د. عبد الكريم صالحي
أستاذ محاضر -ب-
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس،
.abdelkrimsalhi62@gmail.com

الملخص:

يتكون المجتمع من وحدة متكاملة من الجماعات والمؤسسات التي تسعى لتحقيق هدف محدد ضمن نظام مرتب له، الأسرة أكثر المؤسسات تأثيراً على الفرد وعلى وحدة المجتمع، لما عليها من مهام ومسؤوليات اتجاه الفرد والمجتمع، وبقدر تماسكها وقوتها تستمد التنظيمات الاجتماعية الأخرى قوتها واستمرارها والقدرة على المواجهة، والتفكك الأسري بخلاف ذلك هو معول هدم للتماسك الاجتماعي، والمشكلات الأسرية هي العامل الأساسي في حصول هذا التفكك. ولذلك كان الهدف من هذا البحث بيان أسس التماسك الأسري، وبحث الأثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليه، وعلى التفكك الأسري.

الكلمات المفتاحية: أسس التماسك الأسري، آثار التماسك الأسري.

Abstract:

Society consists of an integrated unit of groups and institutions seeking to achieve a specific goal within the salary system for it, plus the family businesses impact on the individual and the unity of the community, what its functions and responsibilities of the leadership of the individual and of society, to the extent that cohesion and strength derive from other social organizations, its strength and its ongoing capacity for confrontation and the disintegration of the family is also a destructive element of social cohesion, and family problems are the main factor in this for disintegration.

Therefore, the purpose of this statement seeks the foundations of family cohesion, and to discuss the psychological and social implications, and the disintegration of the family.

Words key: the foundations of family cohesion, Effects of family cohesion.

المقدمة:

الأسرة هي الحاضنة التربوية الأولى، وهي أولى أساسات العلاقات الاجتماعية، ومنها يكتسب الفرد أنماط التفكير السليم والسلوك القويم، بحسب ما يراه من سلوكيات وما يقوم به من تصرفات، ونظرا لتداخل العلاقات الأسرية، وتفاعلها، ينتج عن ذلك التأثير المباشر والأثر العميق على بقية الأطراف.

وبقدر استقرار العلاقات داخل الأسرة واستمرارها بقدر ما تعود على النفوس بالاطمئنان والسكينة؛ ولا يتحقق ذلك الا بقيام كل فرد من أفرادها بما يقع عليه من تبعات، مع ما يتطلبه ذلك من توافق وتنازل. وقد تتباين المواقف وتختلف الأهداف فيعجز أفراد الأسرة عن التجاوب مع المتطلبات والاحتياجات المتباينة، وينشأ عن ذلك نوع من التزاحم بين المصالح، فتبرز العديد من المشكلات الأسرية وتتأزم العلاقات داخل الحاضنة الأسرية، مما يؤثر على عموم المجتمع. ولهذا اخترت أن يكون موضوع هذا البحث دراسة أثر التماسك العائلي على أفراد الأسرة وعلى المجتمع، من خلال بيان الأساس الشرعي والقانوني لطبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة مع عرض للأثار النفسية والاجتماعية للتماسك العائلي.

وسيتم ذلك من خلال المبحثين التاليين:

- المبحث الأول: أسس التماسك الأسري،
- المبحث الثاني: أثار التماسك الأسري.

المبحث الأول: أسس التماسك الأسري.

الأسرة أساس المجتمع لما لها من تأثير على الفرد وعلى تماسك ووحدة المجتمع، «فالإنسان لا يكــون قويــًا عزيزًا وفي منعــه، إلا إذا كان في أسرة تحصنه وتمنعــه»[1] . ولذلك كان التعريف اللغوي للأســرة ذا دلالــة قويــة على معاني التماسك والترابــط الأسري، جاء في لسان العرب« الأسرة :هي الدرع الحصين»[2]

وبقدر تماسكها تتماسك التنظيمات الاجتماعية الأخرى ويتواصل عطاءها وتكون لها القابلية في مواجهة المخاطر والصعاب. وبقدر ترهل البناء الأسري يترهل المجتمع وتتفكك روابطه، فهي الدرع الحصين للفرد وللمجتمع في الوقت نفسه، وإهمال الزوج لزوجته وأبناءه، وإهمال الزوجة لأبنائها وزوجها، من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي لها تأثير مباشر على تماسك الأسرة، وعلى عموم النسيج الاجتماعي.

ولذلك لابد من التذكير بالأساس الشرعي للعلاقات الأسرية، لأنها مناط التكليف، وهو المرجع في تحديد طبيعة هذه العلاقات وحدودها، لتحديد المسؤوليات والالتزامات، وبها نحدد موطن الخلل ونعالج مواطن الزلل. يقول سيد قطب« تنظيم مؤسسة الأسرة، وضبط الأمور فيها، وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات، وبيان الإجراءات التي تتخذ لضبط أمور هذه المؤسسة، والمحافظة عليها من زعازع الأهواء والخلافات، واتقاء عناصر التهديم فيها والتدمير، جهد المستطاع »[3] حيث تقوم العلاقات الأسرية على مجموعة من الأسس هي الضامن لتماسكها واستمرارية وقوة العلاقة بين أفرادها، ولذلك عد القران الكريم رباط الأسرة ميثاقا غليظا.

جاء في تفسير المنار« وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا »أي عهداً شديداً موثقاً يربطكم بهن أقوى الربط وأحكمه.... إن المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع أنصارها وأحبائها لأجل زوجها إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة، وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأشدها إحكاماً، وإنما يفقه هذا المعنى الإنسان الذي يحس إحساس الإنسان[4] ولذلك كان لزاما فقه أسس الحياة الزوجية السليمة والسعيدة، ومن أهمها:

المطلب الأول: أساس القوامة

القوامة رئاسة الأسرة، وإن من الاسلام إثبات القوامة الزوجية للزوج بضوابطها الشرعية، الا أن سوء فهمها، والجهل بحقيقتها، والتطبيقات السيئة لها، مع الحملات المركزة على الأسرة المسلمة جعل من هذا الأساس موضوع نقاش.

الفرع الأول :تعريف القوامة لغة واصطلاحا

1. **القوامة لغة:** « من قام على الشيء يقوم قياماً: أي حافظ عليه وراعى مصالحه، والقوّام على وزن فعال للمبالغة من القيام على الشيء، والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد»[5].

2. **القوامة اصطلاحاً:** « وهي ولاية يفوض بموجبها الزوج تدبير شؤون زوجته والقيام بما يصلحها[6]» .

الفرع الثاني: تأصيل أساس القوامة

1. **الكتاب:**

أ. قال الله تعالى: « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ[7]». بين الزمخشري حقيقة القوامة والتفضيل: « {قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنّسَاءِ} يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا. وسموا قوّاماً لذلك ...وفيه دليل على أنّ الولاية إنما تستحق بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر.» [8]

ب. وقال تعالى: «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قال رشيد رضا: «.. فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بدّ لكلّ اجتماع من رئيس، لأنّ المجتمعين لا بدّ أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم، إلاّ إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف، لئلاّ يعمل كلّ على ضدّ الآخر، فتنفصم عروة الوحدة الجامعة، ويختلّ النظام.» [9]

فالتعسف في استعمال سلطة القوامة يخرج بها عما وضعت له أصلا، وهو جنوح الى الافراط أو التفريط وكلاهما اهمال، قال الشعراوي: «فكل اجتماع لابد له من قَيِّم، والقوامة مسئولية وليست تسلطاً، والذي يأخذ القوامة فرصة للتسلط والتحكم فهو يخرج بها عن غرضها؛ فالأصل في القوامة أنها مسئولية لتنظيم الحركة في الحياة.» [10]

2. **السنة:**

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» [11]. قال الشوكاني: «إن النهي في الحديث محمول على عدم العلم برضا الزوج، أما لو علمت رضاه بذلك فلا حرج» [12]

الفرع الثالث: ضوابط سلطة القوامة

سلطة القوامة ليست سلطة مطلقة، بل مقيدة بأحكام الشرع ومقتضيات العرف، فأحكام الأسرة مقيدة في القرآن الكريم بأمور:

1. **قيد رباني:** وهو ما سماه القرآن (حدود الله) وقد تكررت كثيرًا في شأن الأسرة، وعادة ما تختم أحكام الأسرة بمثل هذا الوعيد، «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [13]
2. **قيد إنساني:** وهو ما سماه القرآن (المعروف) وهو ما تعرفه النفوس السليمة والعقلاء من الناس وأهل الفضل منهم. كقوله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» [14] وقوله: «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» [15] وقوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» [16]
3. **قيد التشاور:** الأصل أن تسير أمور الأسرة بالتشاور فيما بين الزوجين، والتشاور لا يثمر إلا خيرًا، وقد نبه القرآن إلى ذلك في قضية فطام الطفل الرضيع، كما قال تعالى: «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» [17] . قال القرطبي مؤكدا قيمة التشاور بين الزوجين في ضبط شؤون الأسرة: «وفي هذا دليل على جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة الله تعالى للوالدين التشاوُر فيما يؤدّي إلى صلاح الصغير، وذلك موقوف على غالب ظنونهما لا على الحقيقة واليقين.» [18]

وذهب رشيد رضا أبعد من ذلك في توكيد قيمة الشورى داخل مؤسسة الأسرة الحاضنة الأولى للتربية وأبعاد ذلك على باقي مؤسسات الدولة فقال: «إذا كان القرآن يرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الولد، ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر، فهل يبيح لرجل واحد أن يستبدّ في الأمّة كلّها؟! وأمر تربيتها وإقامة العدل فيها أعسر، ورحمة الأمراء أو الملوك دون رحمة الوالدين بالولد وأنقص؟» [19]

على أن تكون شورى سليمة وتراض غير معيب، قال الطاهر بن عاشور: «أي إرادة ناشئة عن التراضي، إذ قد تكون إرادتهما صورية أو يكون أحدهما في نفس الأمر مرغماً على الإرادة، بخوف أو اضطرار... وعطف التشاور على التراضي تعليماً للزوجين شؤون تدبير العائلة، فإن التشاور يظهر الصواب ويحصل به التراضي.» [20]

4. **قيد الشرعية لا الهوى:** ولا يجوز لـه أن يفرض على المـرأة أهواءه باسم الطاعـة الواجبـة شرعا للزوج باسم سلطة القوامة، لأن الطاعة مقيدة بقيدي الربانيـــة والمعروف، بدليل قولـه تعالى في بيعة النساء لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ» [21]، قال الزمخشري مبرزا أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،اذ

الطاعة في المعروف، وتأكيد القران لهذا المعنى رغم أن المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ما وافق طاعة الله فهو معروف. فإن قلت: لو اقتصر على قوله: {وَلاَ يَعْصِينَكَ} فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بمعروف؟ قلت: نبه بذلك على أنّ طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب.» [22]

الفرع الرابع: القوامة من أسس التماسك الأسري

ويعرف التماسك الأسري بأنه «زيادة العلاقات الموجبة التي تدور في المحيط الداخلي للجماعة، فكلما ازدادت العلاقات ازداد تماسك الجماعة، وكلما تشتت هذه العلاقات، واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلي.» [23]

ويتحقق التماسك الأسري عبر خمسة مقومات أساسية:

1. **المقوم البنائـي:** ويتطلب وجود أسرة متكاملة من أب وأم وأبناء وغيرهم إن وجد،
2. **المقوم الديني:** وهو أهم المقومات التي تؤدي إلى زيادة التماسك والوحدة بين أعضاء الأسرة، ويزيد من تماسك الأسرة فكرياً ومعنوياً ويقيها من التفكك والانحراف،
3. **المقوم العاطفي:** ويعتمد على ما يسود الأسرة من عواطف إيجابية تربط بين جميع أعضائها، تتجلى في الحب والتقدير والاحترام المتبادل،
4. **المقوم الاقتصادي:** ويتمثل في قدرة الأسرة على إشباع الحاجات المادية لأفرادها المنتمين إليها، بحيث يشعر الفرد بالأمن والسعادة لانتمائه إلى هذه الأسرة،
5. **المقوم الصحي:** ويقوم على مدى خلو الأسرة من الأمراض المختلفة، وخلوها من الأمراض الوراثية على وجه الخصوص، ومدى قدرة أفرادها على الترابط والتماسك ومواجهة أزمات المرض وما تخلفه من تبعات السيد رمضان.[24]

وسلطة القوامة هي مصدر هذه المقومات، فهي رئاسة المقوم البنائي، وهي الامام في المقوم الديني، قوله تعالى: «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما» [25] وهي العاطفة العاقلة المتزنة، وهي التي تسهر على تلبية حاجيات الأسرة، وهي الحامية من كل الأمراض النفسية والاجتماعية والجسدية.

المطلب الثاني: الأساس الثاني " حسن المعاشرة"

حسن العشرة من حسن المخالطة، وأمَر التلطُّف مع النساء، والرحمة بهنَّ، وحُسن الخُلُق معهن، وطِيب القول لهن، مما أمر الله به، فهي صمام الأمان للأسرة، وهي الرابط السحري بين أفرادها، وخلافها الجفاء وهو جفاف وقسوة وغلظة في المعاملات الأسرية، ولا نماء مع جفاف. فما المقصود بهذا الأساس؟ وما تأصيله الشرعي؟

الفرع الأول: تعريف العشرة لغة واصطلاحا

1. **العشرة في اللغة:** قال ابن منظور: «والعشرة: المخالطة»،[26] وخلافها الجفاء وهو الغِلَظ في العِشْرَة، والخُرْق في المعاملة، وترك الرِّفق في الأمور.[27]
2. **حسن العشرة اصطلاحا:** عرف بعض المفسرين النشوز بسوء العشرة، قال القرطبي في تفسيره: «المرأة الناشز هي: الكارهة لزوجها، السيئة العشرة.»[28]

الفرع الثاني: التأصيل الشرعي لحسن العشرة

1. **من الكتاب:**

أ. **قال تعالى:** «.. وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً .» [29] قال الطاهر بن عاشور: (لأنّ حسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وزائد بمعاني إحسان الصحبة.)[30]

ب. **قال الله تعالى** : « ...وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [31]» هذه الآية أصل من أصول المعاملات بين الزوجين ، كما تعد أساسا تتفرع عليــه سلسلــة من التشريعات الضابطة لشؤون الأسرة، قال رشيد رضا: « ذكر جلّ شأنه حقّ كل منهما على الآخر بعبارة مجملة تعدّ ركناً من أركان الإصلاح في البشر ...فهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والأحوال، فإذا همّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكّر إنّه يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما: إنّني لأتزيّن لامرأتي كما تتزيّن لي لهذه الآية، وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها، وإنّما المراد إنّ الحقوق بينهما متبادلة وأنّهما أكفّاء[32]»

قال الطبري: «الدرجة التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه[33]»

ج. دلالة مصطلح المعروف في الآية في غاية الأهمية، أي بحسب المتعارف عليه في البيئات المختلفة والأزمان المختلفة شريطة ألا يحل حراما ولا يحرم حلالا، قال رشيد رضا: «والآية تدلّ على اعتبار العرف في حقوق كلّ من الزوجين على الآخر ما لم يحلّ العرف حراماً أو يحرّم حلالا ممّا عرف بالنصّ، والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة.» [34]

2. من السنة

أ. **قال الغزالي:** «والمعاشرة بالمعروف تكون بِحُسْن الخُلُق معها، وكف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحِلْم عن طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقد كانتْ أزواجه تراجعْنَه الكلام؛ بل أن يَزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة، والمزاح والملاعبة، فهي التي تُطَيِّب قلوبَ النساء، وقد كان رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يمزح معهنَّ.[35]»

ب. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [36] وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء، يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.» [37]

ج. **عن أبي هُريرة -رضي الله عنه-قال:** قال رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إنْ كَرِهَ منها خُلقًا، رَضِيَ منها آخر – أو قال: غيرَه» [38]قال النووي: «أنه نهي أي ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقا يكره وجد فيها خلقا مرضيا بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك.» [39]

المطلب الثالث: الأساس الثالث: السكينة والمودة والرحمة

انها ثلاثية الحياة الزوجية السعيدة، سكينة واطمئنان، مودة ومحبة، رحمة وشفقة، انها الجذور التي تتغذى بها ومنها الأسرة، ولا معنى لحياة زوجية، وبيئة أسرية، غمرتها النفرة والشكوك، وغزتها الكراهية والبغضاء، وحلت فيها القسوة والجفوة.

الفرع الأول:

1. **تعريف السكينة:**

أ. **لغـــــة:** أصل هذه المادة يدلُّ على خلاف الاضطراب والحركة.[40]

ب. **اصطلاحًا:** قال المراغي: «والسكينة: سكون النفس واطمئنانها وهو ضد الانزعاج والاضطراب.» [41]

2. **تعريف المودة:**

أ. **لغـــــة:** الوُدُّ: الحُبُّ يكون في جميع مداخل الخير.[42]

ب. **اصطلاحا:** عرفها الجرجاني: «طلب مَوَدَّة الأكفاء بما يوجب ذلك.» [43]

3. **تعريف الرحمة:**

أ. **لغـــــة:** وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة. [44]

ب. **اصطلاحا:** عرفها الطاهر بن عاشور: «هي رِقَّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه.» [45]

الفرع الثاني: التأصيل الشرعي لأساس السكينة والمودة والرحمة

1. **من الكتاب:**

أ. **قال تعالى:** «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [46]

يقول الشعراوي: «ولو تأملنا هذه المراحل الثلاثة (يعني: السكن والمودّة والرحمة) لوجدنا السكن بين الزوجين، حيث يرتاح كُلٌّ منهما إلى الآخر، ويطمئن له ويسعد به، ويجد لديه حاجته .. فإذا ما اهتزّتْ هذه الدرجة ونفرَ أحدهما من الآخر جاء دور المودّة والمحبّة التي تُمسِك بزمام الحياة الزوجية وتوفر لكليهما قَدْراً كافياً من القبول .. فإذا ما ضعف أحدهما عن القيام بواجبه نحو الآخر جاء دور الرحمة، فيرحم كل منهما صاحبه .. يرحم ضَعْفه .. يرحم مرضه ...فإذا ما استنفدنا هذه

المراحل، فلم يَعُدْ بينهما سَكَن ولا مودّة، ولا حتّى يرحم أحدهما صاحبه فقد استحالتْ بينهما العِشرة، وأصبح من الحكمة مفارقة أحدهما للآخر.» [47]

المبحث الثاني: الأثار النفسية والاجتماعية للتماسك الأسري.

وبناء على ما سبق فإن أي فتور أو قصور في أحد هذه الأسس يمكن أن يؤدي بالأسرة إلى التفكك، ويوتر العلاقات داخلها وينتج عنه مشكلات أسرية لا حصر لها. وقد يأخذ هذا التوتر منحى تصاعدي ينتهي بتفكك الأسرة.

المطلب الأول: مستويات الاهمال العائلي

التفكك الأسري يبدأ وفق منحنى تصاعدي، يظهر أولا في غياب التفاعل الأسري، ثم يليه غياب الانسجام، وأخيرا يكون الانفصام الأسري.

الفرع الأول: المستوى الأول " غياب التفاعل الأسري"

يتمثل في فتور المقوم العاطفي صمام التماسك الأسري، مع استمرار العلاقة الأسرية لكن تكتنفها برودة عاطفية كبيرة قد تعصف بكيان الأسرة، فمثلا نشرت وزارة العدل الكويتية دراسة عن أسباب الطلاق في المجتمع الكويتي كان للبرودة العاطفية بين الزوجين النتائج التالية: (دلت النتائج على أن 49.1% من أفراد العينة يصفون الطرف الآخر بالبرود بصفة عامة إلا أنه 37.8% من هؤلاء الأفراد يميلون إلى وصف الطرف الأخر بالبرود والاستهتار بصفة مطلقة بالإضافة إلى 11.3% بالبرود أحيانا.)[48]

الفرع الثاني: المستوى الثاني "التفكك الوظيفي أو المعنوي للأسرة"

1. **طبيعة التفكك الوظيفي أو المعنوي:**

في ظل عدم توفر المرجعيات السلوكية المتوازنة، أو غياب النموذج القدوة في حياة أفراد الأسرة، وذلك بغياب أكثر من أساس من أسس التماسك الأسري، أهمها ضعف سلطة القوامة وسوء العشرة فيسود التوتر داخل الأسرة، ويغيب الاحترام والتقدير لمركز القوامة، ولا يبقى من الأسرة الا جذوع نخل خاوية، أو التطبيقات السيئة للقوامة، والخروج بها عما وضعت له. ولذلك أولى الشرع الاسلامي الإهتمام للإلتزامات الأدبية، لما لها من تأثير على التكون النفسي والعاطفي للفرد، وعلى روابطه العائلية، فهذه الجريمة تساعد على إحداث التفكك والتصدع الأسري، لأن الجانب المعنوي جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية .

2. **من صور التفكك الوظيفي.**

أ. **التفريط في الرعاية الصحية:** ومن أمثلـــة ذلك إهمـــال تطعيم الأطفـــال، نص البيان الثانـــي من مجمع الفقـــه الإسلامي الدولي بشـــأن وجوب التطعيم ضد شلل الأطفال: «وإن هذا الواجب تجاه الوالدين وأولياء الأمور يبدأ من منذ اليوم الأول لولادة الطفل، ويستمر حتى عمر ست سنوات، مع الالتزام التام بالمواعيد المقررة في جداول التطعيم بدقة، ضمانا لتحقيق الفائدة المرجوة من التطعيم ...والمحافظة على سلامة الأبدان من كل ما يعرضها للسوء من آكد الواجبات في الشريعة الإسلامية. »
49

ب. **التقريط في النفقة مع القدرة:** للأبناء على الوالدين حق الرعاية التامة، ويشمل الحق في الرضاعة والحضانة والنفقة. ولهذا لا يجوز له الامتناع عنها أو المماطَلة فيها، مع القدرة عليها، لما روى عمرو بن الشريد عن أبيه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «ليُّ الواجد يُحِلُّ عِرضَه وعقوبته.» [50]

الفرع الثالث: المستوى الثالث التفكك المادي للأسرة

تزول جميع أسس التماسك الأسري، بنقض الميثاق الغليظ ووقوع الطلاق وحرمان الأبناء من الحاضنة الأسرية. وما يترتب على ذلك من تشرد وتشرذم وقصور في تلبية الحاجيات المختلفة للأبناء.

المطلب الثاني: الأثار الاجتماعية لغياب التماسك العائلي

ينتج عن غياب التفاعل الأسري، والتفكك المعنوي للأسرة، أثار اجتماعية تبدأ من المشكلات الأسرية وتنتهي بمشاكل جنائية، يدفع المجتمع ثمن الفشل داخل الحاضنة الأسرية .

الفرع الأول: ماهية المشكلات الاسرية

عرف حسن مصطفى المشكلات الأسرية بقوله: «المواقف والمسائل الحرجة المحيرة التي تواجه الفرد فتتطلب منه حلاً، وتقلل من حيويته وفاعليته وإنتاجه ومن درجة تكيفه مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه.[51]» وعليه فالمشكلات الأسرية لها جوانب نفسية واجتماعية، وتظهر خاصة في :

1. **المشكلات الزوجية:** التي تعرف بأنها «تضارب توجهات الزوجين حيال بعض الأمور التي تخص أيا منهما أو تخصهما الاثنين، بحيث تستثير انفعال الغضب، أو السلوك

الانتقامي أو التفكير فيه، وتعبر هذه الخلافات عن نفسها بمظاهر شتى مثل النقد أو السخرية، والمناقشات الكلامية الحادة، وقطع التواصل الكلامي أو التقليل منه، وعدم القيام بالأدوار سواء بصفة كلية أو جزئية، وقد يصل الأمر إلى هجر المنزل وفراش الزوجية أو حتى الضرب والإيذاء البدني، كما قد تودي إلى الطلاق.» [52]

2. **مشكلات الأبناء وبخاصة الأطفال:** وتم تعريف مشكلات الطفولة بأنها «عبارة عن صعوبات جسمية ،أو نفسية ،أو اجتماعية تواجه بعض الأطفال بشكل متكرر، ولا يمكنهم التغلب عليها بأنفسهم أو بإرشادات وتوجيهات والديهم ومدرسيهم، فيسوء توافقهم ويعاق نموهم النفسي أو الاجتماعي أو الجسمي، ويسلكون سلوكا غير مناسب لسنهم أو غير مقبول اجتماعياً، وتضعف ثقتهم بنفسهم، ويسوء مفهومهم عن أنفسهم وعن الآخرين، وتقل فاعليتهم الايجابية في المواقف الاجتماعية، وتضعف قابليتهم للتعلم والتعليم والاكتساب الدراسي، وصعوبات النطق والكلام، ويحتاجون إلى رعاية خاصة. [53] »

الفرع الثاني: الأثار الاجتماعية لغياب التماسك العائلي

وتعد مشكلات الأبناء والخلافات الزوجية أرقا للأسرة ككل، فلا يقتصر تأثيرها على أطرافها المباشرة فقط، بل تمتد إلى مختلف محيط العلاقة الأسرية وقد يخرج تأثيرها من إطار المنزل والحياة الأسرية، ليمتد إلى العلاقات الاجتماعية الأخرى. فمثلا ظاهرة العود للجريمة يرجعها بعض الدارسين للبيئة الاجتماعية والاسرية للمنحرف: «...تتصل بالوسط الذي يعيش فيه، ويكون من شأنها التأثير غلى سلوكه وتوجيهه نحو اقتراف الجريمة. » [54]

ولذلك تعتبر البيئة الأسرية من العوامل الأساسية التي تنتج الانحراف، وهناك دراسة لجعفر عبد الأمير الياسين توصل بها الى أن: «كلما زادت نسبة حالات الهجر بين الوالدين كلما زاد احتمال وقوع الأحداث في مهاوي الجريمة.» [55]

ويعد الجهل بأحكام الشريعة سببا مباشرا في التفكك الأسري، وقد أظهرت دراسة محمد خليل «أن ضعف الوعي الديني بحقوق وواجبات الآباء والأبناء، كان من أهم دوافع عقوق الوالدين. فكثير من الآباء لا يشغلون أنفسهم بتوعية الأبناء بالحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء.[56]»

المطلب الثالث: الأثار النفسية لغياب التماسك العائلي

الاهمال العائلي معناه غياب سلطة القوامة وما تمثله من درع حصين للزوجة والأبناء، غياب ما يحفظ الأسرة من جهة الوجود، من نماء وتلبية للحاجيات المادية والنفسية وما يحفظها من جهة العدم فيدفع عنها كل مكروه، ويصونها من كل سوء. معناه كذلك غياب الدفء وحسن العشرة وبالتالي عدم تلبية للحاجيات العاطفية، مما يولد فراغا عاطفيا خطيرا خاصة عند الأطفال الذين هم في حاجة ماسة أكثر من غيرهم للتدفقات العاطفية.

الفرع الأول: الحاجات النفسية لأفراد الأسرة:

العناية بالحاجات المختلفة لأفراد الأسرة يسهم في تكوين شخصيات سوية لا تشعر بالتوتر أو النقص، ولا تسعى لتعويض هذا النقص عير سلوكيات غير سوية، والعكس صحيح.

فواجب الزوج أن يعفو عن التقصير، ويغض الطرف عن الزلات البسيطة، ويتذكر أن نفسية المرأة تميل للمعاملة الرقيقة، «وأن المرأة لا تصلح لها المحاكمة المستقصية والمناقشة العسيرة، والرجل يحس برداً وروحاً حين يعلم أن هذه طبيعة المرأة، فيتقبلها كما هي، ويأخذ نفسه بالحكمة معها والصبر عليها، ولا يجنح إلى الخيال، ولا يتطلب الكمال.» [57]

و شعور الطفل بالحاجة إلى الرعاية النفسية و العاطفية، مع عدم تلبية هذه الحاجة الملحة تجعله عرضة للتعلق بكل ما من شأنه أن يمنحه هذا الدفء العاطفي، ولو كان مغشوشا من جهة لا تعرف الرحمة والشفقة..

لذلك رغب الشرع الاسلامي في رعاية اليتيم والمسح على رأسه وتقبيله، لأنه في حاجة ماسة إلى من يعوضه حنان الأبوة أو الأمومة. وروي عن أبي هريرة أن رجلا شكا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-قسوة قلبه فقال: «إن أردت أن تليين قلبك، فامسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين[58]»

ولا أدل على خطورة هذه الحاجة من تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم في أدائه بعض الفرائض من أجل هذه الحاجة الطفولية الملحة، فقد تجاوز في صلاته لسماعه بكاء صبي.

فعن أبي قتادة الحارث بن ربعي -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه» [59]

وحمل أمامة حفيدته لزينب وهو في الصلاة المفروضة، روي «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس: فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها.» [60]

وكان يسلم عليهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال تقبّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[61]

الفرع الثاني: إشباع الاحتياجات النفسية المختلفة للزوجين ولأفراد الأسرة

1. بإشباعها بالمحبة والمودة والرحمة:

ويبدأ ذلك بإشباعها بالتقدير وبالإحساس بالمشاركة: (فهذا التقدير يخلق لدى كل منهما إحساسًا بأنه مقبول داخل إطار العلاقة الزوجية، وأنه ذو فاعلية وذو مكانة، فيزيد ذلك من تقديره لذاته، ومن شأن ذلك أن يولد لديه مشاعر الكفاءة والثقة والسداد، أما إذا لم تشبع الحاجة للتقدير فيكون هناك مشاعر مختلطة من الإحباط والشعور بالتقصير وتثبيط الهمم.)[62]

ولذلك نص القرءان على القوامة المشفوعة بالشورى.. وحرصت الشريعة الإسلامية على اشباع الحاجة الى التقدير والاحترام، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بِنْتُ يَهُودِيٍّ !! فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ (مَا يُبْكِيكِ) فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ) ثُمَّ قَالَ (اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ).[63] فصفية من نسل هارون بن عمران عليه السلام، وعمها هو موسى بن عمران عليه السلام، وهي زوجة نبي هو أفضل البشر، محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وقد كانت من ألد الناس لرسول الله ولكن حسن صحبته لها غيرها.

2. بالتحكم في النفس والانفعالات:

وضع القران قواعد للتحكم في العواطف، وحسن تسير الانفعالات، قال تعالى: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [64] وفق سنة التدرج، من الثبات على المبدأ في كل الظروف، فلا تغيره سراء ولا ضراء، يمتص الصدمات، ويحسن فوق ذلك لمن أساء إليه، وهذه ميزة القوام والراعي الأمين.

فلا تدفعه الانفعالات لتدمير أسرته، بل عليه التحكم فيها لتدبير شؤون أسرته، قال الرازي: «المعنى أنهم سواء كانوا في سرور أو في حزن أو في عسر أو في يسر فانهم لا يدعون الاحسان إلى الناس...سواء سرهم بأن كان على وفق طبعهم، أو ساءهم بأن كان على خلاف طبعهم فانهم لا يتركونه.» [65]

فالإرشاد النبوي يحث على توجيه الانفعالات توجيها إيجابيا، لذا أرشدنا الرسول . صلى الله عليه وسلم . إلى تغير الهيئة عند الغضب، فعن أبي ذر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » [66]

وفي السكوت حال الغضب سكون له، وهو من هدي النبي، لقوله -صلى الله عليه وسلم-«علِّموا، ويسِّروا ولا تعسّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت، قالها ثلاثًا.» [67]

الهوامش:

1 السيد أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة،" ط1، 1407 هـ، طبعة دار الوفاء، مصر، ص 6.

2 جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار الفكر، مادة أسر، ج4/ص19.

3 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، السابعة عشر 1412هـ ،ج2 ص652.

4 رشيد رضا ، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م ، 1990 م ،ج4 ص380.

5 ابن منظور، المرجع السابق، 12/502-503.

6 البغوي ، معالم التنزيل، ، دار طيبة، 1409 هـ - 1989 م، ج1/422.

7 النساء: من الآية34.

8 للزمخشري ،الكشاف، دار صادر، 1969، .1/523

9 رشيد رضا ،المرجع السابق ،ج5 ص56.

10 متولي الشعراوي ،خواطر محمد متولي الشعراوي ،أخبار اليوم ،1991، ج3 ص16

11 أخرجه البخاري. حديث رقم :4899 .

12 البقرة: من الآية [229].

13 النساء: من الآية [19].

14 البقرة: من الآية [233].

15الطلاق: من الآية [2].

16 البقرة: من الآية [233].الطلاق: من الآية [2].

17 القرطبي، تفسير الجامع، دار الكتب المصرية، 1964،ج3 ص 160.رشيد رضا ، المرجع السابق ، ج2 ص324.

18 رشيد رضا ، المرجع السابق ، ج2 ص324..

19ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،ج2 ص429

20 الممتحنة: من الآية[12].

21 الزمخشري ،االمرجع السابق،ج4 ص 520.

22 أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1415هـ، ص 86.

23 إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، القاهرة، المعرفة الجامعية ،1419هـ، ص93/80.

24 سورة الفرقان: [74].

25 ابن منظور،المرجع السابق، ج10 ص156.

26 محمد عبد الرؤوف المناوي عالم الكتب، القاهرة ، 1990، التوقيت على مهمات التعاريف، ص128.

27 القرطبي، المرجع السابق ، 211/5.

28 سورة النساء الآية 19.

29 ابن عاشور، المرجع السابق،ج4 ص282.

30 سورة البقرة 228.

31 رشيد رضا، المرجع السابق،ج2 ص293.

32 الطبري ، المرجع السابق ،ج1 ص534.

33 رشيد رضا ، المرجع نفسه ، ج2 ص293.

34 أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين، مكتبة كرياطه فوترا – سماراغ – إندونيسيا ،(43/2).

35 أخرجه الترمذي وابن ماجة، برقم 3895.

36 سورة الأحزاب ، الاية 21.

37 أخرجه مسلم، رقم: (1469).

38 النووي، شرح النووي على مسلم، ج ص47.

39 ابن منظور، المرجع السابق ، (211/13)

40 المراغي ، تفسير المراغي ، الحلبي ، الأولى، 1365 هـ- 1946م، ج10 ص 120 .

41 لسان العرب ، ج3 ص 453.

42 الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الأولى 1403هـ -1983م، ص 71 .

43 ابن منظور، المرجع السابق، ج12 ص 230.

44 ابن عاشور، المرجع السابق ، ج 21 ص 26 .

45 سورة الروم: 21 .

46 الشعراوي، المرجع السابق، ص 4970.

47 – موقع وزارة العدل الكويتية، أجريت دراسة ميدانية على عينة من اصحاب حالات الطلاق عددها 612 حاله من اصحاب الحالات الذين تقدموا إلى إدارة التوثيقات الشرعية بالوزارة قام بها فريق عمل من قسم الاحصاء.

48 مجمع الفقه الاسلامي ، جدة ، السعودية ، دورة : 2013/4/17.

49 رواه أبو داود 3628 .

50 حسن مصطفى عبد المعطي، الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة، القاهرة: دار القاهرة، 1421 هـ، ص13.

51 بشير صالح الرشيدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، الكويت: ذات السلاسل، 1417هـ، ص171.

52 محمد عودة محمد، كمال إبراهيم مرسي، الصحة النفسية في ضوء علم النفس الإسلامي، الكويت: دار القلم، 1406هـ .

53 محمد شلال العاني وعلي حسن طوالبة ، علم الاجرام وعلم العقاب ، ط1، دار المسيرة ، عمان، 1998، ص 161.

54 لجعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، ط1، عالم المعرفة، بيروت، 1981، ص232.

55 محمد بيومي خليل، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة: دار قباء ، 1420هـ ، ص 250.

56 بشير صالح الرشيدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، مرجع سابق، ص282.

57 رواه أحمد ، ج2 ص 263.

58 أخرجه البخاري، برقم: 707.

59 أخرجه أبو داود، برقم: 1109.

60 صحيح البخاري رقم 5998.

61 بشير صالح الرشيدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، مرجع سابق، ص295.

62 الترمذي ،سنن الترمذي، ج5، حديث رقم3894.

63 سورة آل عمران: 134.

64 الرازي ، التفسير الكبير، دار الفكر،دمشق ، 1981،ج9 ص363.

65 أخرجه البخاري، رقم: 5763، ومسلم رقم: 2609.

66 رواه أبو داود ، رقم 4782.

67 رواه أحمد. رقم 2137.